



التقرير الختير للهدد

ابراهیم یحییٰ ابو لیلی

عندما نتحدث عن الأمور الغيبية فإننا نستحضر عظمة الخالق جل وعلا، وأنه هو المتصرف في أمور الخلق، قال الله تعالى (أَلَا لَهُ الْكُلُّ) وَالْأَقْرَبُ تَبَارِكُ اللَّهُ بَيْنَ الْغَالِمِينَ من هذا المنطلق نقول إنه عندما جاء الهدى الجندي الأمين في سلك الدبلوماسية السليمانية بعدما غاب حتى فقدم نبي الله سليمان وهدد بأن يعاقبه عقاباً مميتاً بالذبح إن لم يأت ببرهان ودليل وسبب مقنع لغياه.

إن الانضباط في مملكة سليمان النبي يعطي دروساً لكل الممالك والدول في كل عصور التاريخ إلى يوم البعث، وقف العهدed ومكث غير بعيد عن مليكه وقوف الواثق من نفسه؛ وقف الصادق؛ وقف لا رب فيه ولا شاء؛ استعداداً لسرد تقرير مفصل وخطير عن أعظم قضية خلق هذا الكون لأجلها، وبها قامت السموات والأرض؛ إنها قضية التوحيد والإيمان بالله رب العالمين، والاستسلام الكلى له.

تقرير عن رحلته التفقدية، وهذا التقرير مفاده أنني رحلت إلى مملكة سبا باليمن، وتطاعت إلى أحوال القوم هناك وحيثك منها بنأ يقين صادق إنني وجدت لهم مملكة عظيمة وأن إمرأة تملكهم وتحكم فيهم وقد أوتيت من كل شيء حتى أن الله جباهما عرشاً عظيماً، وهنا استدرك الدهدед قائلاً: ب رغم هذا الملك العريض وما أنعم الله به على أهل هذه المملكة إلا أنهم بدلاً من أن يعبدوا الله المتعظم ويسجدوا له اعتراضاً بهذه النعم العظيمة، وتسللها ببروبضة ربهم وأولوهية إلههم وخالقهم، سول لهم الشيطان وزين لهم أعمالهم في السجود للشمس من دون الله وهي أحدي مخلوقات الله التي أوجدها الخالق، لكم ينعم الإنسان بها واستفدى منها وهي مسخرة له.

وَاسْتَغْرِبُ، بِلْ تَعْجَبُ الْهَدَهُدُ الْمُؤْمِنُ وَاسْتَطَرِدُ مُسْتَكْرًا فَعَلِمَهُ هَذَا وَمَعْلَاً اسْتَكَارَهُ بِالْأَلْأَزْفَنِ يُنْدِلُّ الْأَنْبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا لَحْفُونَ وَمَا نَغْلُونَ<sup>(25)</sup> اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ<sup>(26)</sup> يَقُولُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّ الْهَدَهُدَ عِنْدَمَا قَالَ الَّذِي يَخْرُجُ الْخَبَابُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى الْهَدَهُدَ مِنْ قُوَّةِ الْبَصَرِ بِمَا يَرِي الْعَالَمَ وَهُوَ فِي جَوْفِ الْأَرْضِ، وَهُنَّا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُعِيزَ بِالْعُقْلِ يَصْبَحُ أَقْلَى مِنْ زَلَّةٍ مِنْ طَيْرٍ أَوْ حَشْرَةٍ حِينَ يَتَرَدِّي بِعُقْلَتِهِ إِلَى مَا دُونَ مَرْتَبَةِ الْجِيَوَانِ، عِنْدَمَا يَعْدُ مُخْلَوقًا أَقْلَى مِنْهُ مَنْزَلَةً وَهُوَ خَلْقُ لِفَائِدَتِهِ وَسُخْرَةِ لِهِ.

نعم تعجب الهدى وتثير في أمر هؤلاء المخلوقين لله حتى أنسنته الحيرة والعجب ما أرسل له، وانه جندي حان موعد مثوله بين يدي مليكه النبي المجاهد، كيف يعرف مخلوق بهذا الصغر أن الشيطان هو من زين لهم هذه العبادة؟ برغم تحذير الله لهم من كيده منذ خلق آباءهم آدم، وما حاك من مؤامرة ضده في الجنة، وحذرهم عالم السر وأخفى بأن لا يخدعنهم الشيطان عن عبادة ربهم وخالقهم والمنعم عليهم بشتى النعم الظاهرة والباطلة.

إنه الإيمان، نعم أيها الإنسان الجحود والمنكر عطاءنا ره الذي خلقه وأنعم عليه ثم يتولى عن الخالق ويعبد مخلوقا هو أقل شأننا منه، فكم في القرآن الكريم من عبرٍ لو تفكرنا في آياته وتدبرنا، ويجب على الإنسان أن لا يمر عليها وهو معرض عن الحكمة المبئولة في آياته.

نعم إنه إيمان الهدى الأمين، ونعلم من هذا أن كل الذين كانوا تحت إمرة نبى الله سليمان من الجن والإنس والطير يخضعون لرب واحد ولحكم نبى مرسل من ربه، فعلى الناس المعرضون عن ربهم أن يخلووا من أنفسهم حين يعلموا أن بعض المخلوقات التي لا تتعزى بالعقل مثلهم يوحدون الله العلي، في حين أنهم من كان الأولى بهم أن يكونوا حاملي هذا الإيمان، وكل الدلائل في الكون تخبرهم وتدلهم إن جزدوا النقوص والعقوق من الأهواء أن الله أحق بالعبادة والسجدة له من دون الأحجار والأشجار والكواكب والشموس وكل ما سول لهم الشيطان عبادته من دون الله.

فَاللَّهُمَّ ارْزُقْنَا إِيمَانَ الْكَامِلِ، وَالْيَقِينَ الصَّادِقِ حَتَّى نَلْقَاكَ وَأَنْتَ رَاضٌ عَنَا غَيْرَ غَبَّانٍ، وَأَوْزِعْنَا أَنْ نَشْكُرْ نِعْمَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ.

إبراهيم يحيى أبوليلى.